مدرسة الحج الأخلاقية:

لمدرسة الحج منهج فريد في تربية المسلم وتهذيب أخلاقه، ففريضة الحج دعوة أخلاقية سامية، ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٧]، فالمسلم في الحج يلتزم بالأخلاق الإسلامية النبيلة؛ لعلمه أنه من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه، مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ.

والعاقل لا يتكبد مشاق السفر والرحلة والإنفاق، ثم يرجع بخفي حنين، خالياً من مكاسب هذه الرحلة ومغانمها، ففي مدرسة الحج يتلقى المسلم أنواعاً من الدروس العملية، وضروباً من الرياضات الروحية، مما ينعكس أثرها على مسيرة حياته كلها وحياة من حوله من الخلق.

قبل السفر للحج:

يبدأ منهج مدرسة الحج في تربية المسلم من لحظة العزم على أداء نسك الحج، ثم يستمر ويترسخ في أخلاقه طيلة حياته، ويتهذب المسلم قبل دخول مدرسة الحج وبعدها بعدد من الأعمال، نورد منها:

التوبة (التخلية قبل التحلية):

إن من ينوي أن يحج بيت الله الحرام ينبغي أن يستعد له الاستعداد اللائق به، ويهيئ نفسه التهيئة المناسبة لهذه الشعيرة العظيمة التي أعلى من شأنها

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في آيات وأحاديث كثيرة. وأولُ مراحل الاستعداد والتهيئة الخروجُ من الذنوب والتبعات بتوبة صادقة جازمة، والتوبة من المعاصي والذنوب واجبة في كل وقت وحين، ولكنها في هذه الرحلة المباركة تكون أوجب وأكثر طلباً.

وللتوبة شروط ثلاثة إذا كانت المعصية بين العبد وربه، وهي:

أ- الإقلاع عن المعصية.

ب - الندم على فعل المعصية.

جـ- العزم على ألا يعود إلى المعصية.

وإن كانت تتعلق بحق آدمي فلا بد من شرط رابع، وهو: أن يبرأ من حق صاحبها سواء كان مالاً أو قذفاً أو غيبةً أو ديناً أو غيره.

وفي هذا الأمر رجوع إلى الله تعالى وطلب محو الذنوب وتخلية صحيفته من التبعات، فالتخلية مقدمة التحلية.

تعلم أحكام الحج:

يتعين على مريد الحج أن يتعلم أحكامه إذ لاتصح العبادة ممن لا يعرفها، فينبغي تعلم واجبات الحج وأركانه وسننه ومحرماته ومكروهاته؛ ليكون حجه صحيحاً كاملاً، وهذه الأحكام ومعرفتها تسهم إسهاماً كبيراً في تهذيب الأخلاق وترويض النفوس وتزكيتها.

الوصية الشرعية:

ينبغي لمن ينوي الحج أن يوصي بما في ذمته من ديون وحقوق ومتعلقات، فقد صح في الحديث: « ما حقُّ امرئ مسلم، له شيء يريد أن يُوصي فيه، يبيت ليلتين، إلا ووصيَّتُهُ مكتوبة عنده» [أخرجه مسلم].

وهذه الوصية تربي في المسلم أخلاق الأمانة والتراحم والتكافل والتعاضد، وتخرجه من دائرة الأنانية والشح والبخل والطمع.

النفقة الحلال الخالصة من الشبهات:

ينبغي على الحاج أن يحرص على أن تكون نفقته حلالاً، خالصة من الشبهة، ليكون حجه مبروراً، فإن من شروط الحج المبرور: النفقة من الحلال.

وداع الأهل والأرحام والأصدقاء:

ينبغي لمريد الحج أن يودع أهله وأرحامه وأصدقاءه وأن يطلب المسامحة منهم، ويجتهد في إرضاء والديه، وأن يودعوه هم أيضاً، فيقول كلٌ لصاحبه: « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زودك الله التقوى وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيث كنت». وهذا السلوك الرفيع يُنمي في المرء المشاعر الإيجابية المؤسِسَة لمنظومة الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة التي يقوم عليها بناء المجتمع الراشد، كما ينبغي له أيضاً أن يُنيب عنه من يثق في دينه وأمانته للقيام بشؤون أهله ومن يعول، وأن يترك لهم من المال والزاد ما يكفيهم لحين عودته من حجه سالماً إن شاء الله تعالى.

دعاء السفر:

كان رسول الله ﷺ إذا سافر قال: « اللَّهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللَّهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال، اللَّهم اطوِ لنا الأرض وهوِّن علينا السفر » [أخرجه أبو داود]. ومما يتأكد في حق المسافر، أن يلازم الدعاء من حين سفره إلى حين عودته، ففي الحديث: « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم » [أخرجه أبو داود].

في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة:

ينبغي لمن وفَّقه الله تعالى لحج بيته العتيق أن يكون همه الخروج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل ولا يخاصم، وأن يكسب من الحسنات ما استطاع إليها سبيلاً، ومن أهم ما ينبغي فعله هناك:

تجنب الغضب وإيذاء الناس:

فينبغي تجنب إيذاء الناس بالمزاحمة ونحوها، ولا سيما في الطواف وعند استلام الحجر الأسود،، وقد أرشد نبينا ﷺ عمرَ رضي الله عنه إلى ذلك، فقال له: « يا عمر إنك رجل قوي لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله فهلِّل وكبِّر» [أخرجه أحمد]. وإن أحد زاحمه أو أغضبه فينبغي عليه أن لا يغضب، فالغضب جماع كل شر؛ لذلك حذرنا النبي ﷺ منه، كما في الحديث: أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني. قال: « لا تغضب »، فردد مراراً، قال: « لا تغضب» [أخرجه البخاري].

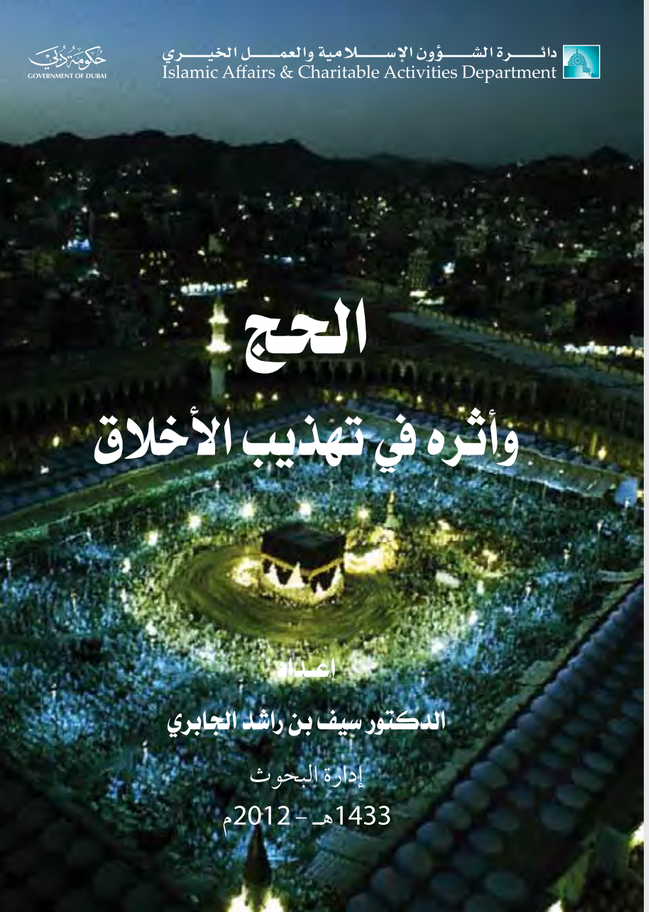

الإكثار من الصلاة:

ينبغي للحاج أن يغتنم حضوره بالمسجد الحرام والمسجد النبوي فيكثر من الصلاة فيهما؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه » [أخرجه ابن ماجه]. وبكثرة الصلاة تتبدل الأوصاف ويتحقق الحاج بصفات عباد الرحمن القانتين الخاشعين.

الإكثار من الطواف:

للطواف فضل عظيم وأجر كبير، وعلى الحاج إن استطاع أن يغتنم وجوده في بيت الله الحرام في الطواف، دون أن يؤذي غيره من الطائفين، أو أن يسبب زحاماً شديدا في الطواف، وعليه أن يختار الأوقات المناسبة لذلك. وحسبنا ما جاء فيه من قول خير البشر ﷺ: « من طاف بالبيت سبعاً يحصيه كتبت له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة ورفعت له به درجة وكان له عدل رقبة» [أخرجه البيهقي]. وهذه الخطوات المباركات تفعل في صاحبها فعلاً عجيباً فتحيله إلى مولود جديد ناصع الصفحة نقي السريرة.

الدعاء من أفضل العبادات:

هناك كثير من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء بمكة؛ من أهمها: الطواف، وتحت الميزاب، وعند الملتزم، وخلف مقام إبراهيم، وفي عرفة.

وللدعاء أثر فعال في تزكية أخلاق المسلم وترشيد أفعاله، ويكفي ما جاء فيه عن النبي ﷺ: « الدعاء هو العبادة » [أخرجه أبو داود].

دعاء عرفة:

الوقوف بعرفة هو أعظم أركان الحج، ففي الحديث: «الحج عرفة» [أخرجه الترمذي]. وقد قال ﷺ: « أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ». [أخرجه البيهقي]. فعلى الحاج ألا ينشغل في هذا الموقف إلا بذكر الله تعالى.

زيارة المسجد النبوي بالمدينة ومشاهدها:

يُسن زيارة المدينة المنورة للصلاة في الحرم النبوي والسلام على رسول الله ﷺ، فيأتي المسجد النبوي، ويصلي ركعتين تحية المسجد. ثم يتجه نحو القبر الشريف بكل وقار وأدب تامّ كأنه يرى النبي ﷺ، ثم يسلم عليه خافضاً صوته، متذكراً فضله ﷺ عليه وعلى هذه الأمة، وأنه ﷺ السبب في كل خير وفضل، ثم يسأل الله تعالى له ﷺ الوسيلة والدرجة الرفيعة، ثم يسلم على صاحبيه سائلاً الله تعالى أن يجزيهما عن أمة الإسلام خير الجزاء، لما قاما به من جهود في نصرة دين الله تعالى.

ويستحب للحاج أن يزور البقيع وجبل أحد للسلام على من دفن فيهما من الصحابة والصحابيات. ويقول: « السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر » [أخرجه الترمذي].

العودة إلى الوطن :

فإذا أنهى المسلم حجه وعمرته، وأراد الرجوع إلى وطنه استُحب له أن يُكبر ثلاثاً ويقول: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربِّنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحدهُ» [أخرجه مسلم].

هذه بعض الدروس المستفادة من مدرسة الحج، وكلما كان الإنسان أكثر استفادة من هذه المدرسة كلما كان أكثر تحقيقاً لمقاصدها وأهدافها التي لأجلها شرعت. فما أعظم مدرسة الحج حين تجود على الحاج بميلادٍ جديد يفضل ميلاده الأول من بطن أمه، وهو ميلاد الهداية والصلاح والأخلاق الزكية العالية، فطوبى لمن تربى في مدرسة الحج وتعلم من دروسها، فعاد من حجه مخلوقاً آخر. عاد بوضع جديد غير الذي خرج به.

نسأل الله أن يرزقنا حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً.

❁ ❁ ❁

www.iacad.gov.ae
04 6087777 الرؤية: الريادة في العمل الاسلامي والخيري 8003336 فتوى Fatwa